**ورقة سياسية**

# معضلة استعادة الجليل

**2025-1-8**

- **الفهرس**


1. **الجيش والمجتمع الشمالي: ارتباط مصيري**
2. **استجابة المجتمع الشمالي للتحديات**
   - الحرب الطويلة
   - الدمار
   - إعادة التأهيل
3. **الخريطة النفسية للمجتمع لا تصل شمالاً**
4. **إذاً، من سيعود؟**
5. **ما الذي قد يُنقذ الشمال؟**
6. **التداعيات المستقبلية**
7. **تأثير الشمال على قرارات الحرب**
8. **استنتاجات عامة**


- **المقدمة:**

يُنظر إلى الشمال في الموروث الثقافي ضمن المعادلة التالية "إذا لم نستوطن في الشمال، فسيجلس أعداؤنا مكاننا"، فقبل أن يكون الشمال أحد الأصول الاستراتيجية للدولة، هو تحقيق للرؤية الصهيونية القائمة على المبدأ المشترك للأمن والاستيطان، بالتالي إن أولئك الذين اختارو الاستيطان على الأطراف الجغرافية لإسرائيل، هم صنّاع الرواية الصهيونية، أما أولئك الذين ذهبوا لأكثر الأطراف تطرفاً وخطورة على الحدود اللبنانية، فإن دورهم يتخطى تحقيق الرؤية الصهيونية إلى كونهم "سياج الدولة" في تثبيت حدودها.

رغم أن هؤلاء لم يرضوا يوماً عن أداء الحكومة وعرّفوا أنفسهم كـ"سكان الهامش" إلا أنهم اختاروا البقاء في "المنزل"، كان ذلك حتى ما قبل 7 أكتوبر، ومع دخول معركة الإسناد سقطت اللبنة الأخيرة لـ"الوعد الأمني"، ولم تُفلح المعركة التي قادها نتنياهو لعودة السكان في إعادتهم حتى الآن.. وهنا نقطة التحول المركزية في الرؤية الصهيونية والعقيدة الأمنية في نظر سكان الشمال.

تقدم هذه الورقة، تبيين معمّق للتحولات والتموضعات المستجدة في المجتمع الشمالي، وتحليل لخريطة التفاعلات مع التحديات المركزية خلال الحرب، وما لذلك من تداعيات مستقبلية على الكيان، وتأثير على صناع القرار.

## ▪ الجيش والمجتمع الشمالي: ارتباط مصيري

من بين المجتمعات الإسرائيلية (الشمال الوسط والجنوب) تَصَدّر المجتمع الشمالي بعد الـ7 من أكتوبر؛ مشهدية العلاقة الإشكالية بين الجمهور والجيش الإسرائيلي، نتيجة عوامل جغرافية، ميدانية، وعسكرية:

- تأخر الاستجابة الميدانية في تغيير الواقع الأمني في الشمال (حوالي 11 شهراً)، وانجرار الجيش إلى معركة دفاعية لم تدخل قبل هذا التاريخ في مفهوم الأسلوب القتالي للجيش.
- تقديم أولوية الحسم العسكري في الجنوب (غزة) على أولوية حماية الحدود الشمالية.
- فجوة بين الوعود العسكرية المعلنة وبين الواقع الميداني.
- اختلال تراكمي بين التوقعات العسكرية والنتائج الواقعية.

إلا أنّ أياً من هذه العوامل لم يتسبب بانتزاع قدسية "الجندي" من وعي المستوطن الشمالي، لأسباب تتخطى البعد الواقعي إلى كونه موروث عقائدي متجذر، وحاجة نفسية ملّحة:

- التسمك بالارتباط العاطفي والوجودي العميق بالجيش.
- تتعزز في الحروب الهالة التحصينية للجنود، بحيث يتحول النقد أو التشكيك بقدرات الجيش وقراراته إلى أفعال محرمة، وتدخل هذه العملية بشكل أو بآخر لتمكين المستوطن من الصمود أمام أي اختراق للخوف أو سلب عنصر الأمان منه.
- خطاب إعلامي تمجيدي وتغذية تاريخية (شعارات قتالية) بُنيت على تضخيم التوقعات حول قدرة الجيش وإمكانياته. مثال: גולנצ'יק לא נשבר غولانشيك (غولاني) لا ينكسر (قالها المقدم في الاحتياط شموئيل زكاي بعد ضربة حزب الله لمقر غولاني في حيفا).
- ضرورة الحفاظ على مستوى ثقة مرتفع بالجيش، لاعتبارات أخلاقية ونفسية، ولأن المؤسسة العسكرية على النقيض من الأدوات السياسية التي يمكن استبدالها في حالة عدم الرضا؛ فإن جيش "إسرائيل" لا يمكن استبداله.
- وحدة المصير بين الجمهور والجيش، خلقت عهداً ثابتاً، يربط الطرفين، تحول إلى تحالف لا يسمح للجمهور بالشك في هذا الجيش، وأسس لأرضية متينة تمنح الشعور بالقوة والثقة العالية للطرفين.

بالنسبة للمجتمع الشمالي، فإن كسر صورة الجيش المقتدر هو مسألة حياة وموت، يجيب وزير شؤون الاستخبارات السابق في الحكومة الإسرائيلية، دان مريدور عن هذا الموضوع في مقابلة

مع صحيفة "زمان إسرائيل": "إذا أخبرت إسرائيليًا أنه قد يكون هناك شيء لا يستطيع الجيش الإسرائيلي تنفيذه، فإنه يشعر على الفور بعدم الأمان الوجودي"، ورغم المبالغة بالقدرة المطلقة لجيش الاحتلال، فإن المستوطن يحتاج لمظلة أمنية فعالة في الأرض المغصوبة.

لذا يلجأ الجمهور إلى تبرير وسد فجوة الخيبات بسردية: "إنهم لا يسمحون للجيش الإسرائيلي بالفوز"، بالتالي تقع مسؤولية الفشل على عاتق الحكومة والمستوى السياسي بعرقلة مسار النصر، لاعتبارات مختلفة: منها شخصية، وحزبية، وإيديولوجية، وضعف في عملية صنع القرار.. هذا ما يفسّر ارتفاع منسوب الاستياء والنقد تجاه الحكومة مقارنة بمستويات ثقة المجتمع الشمالي بالجيش خلال الحرب.

مع ذلك، واجهت العلاقة بين المجتمع الشمالي والجيش، خضّات مرحلية، تعرض فيها الجيش لمساءلة علنية، عندما أعلن رئيس أركان الجيش، هرتسي هاليفي، عن موعد عودة النازحين خلال الحرب حتى قبل وقف إطلاق النار، كما شهدت تقلبات ترتفع عند الانجاز وتنخفض عند الفشل في توظيفه، لكن "تضحيات الجيش" في المعركة البرية على وجه التحديد شكلت الصمغ المتين الذي يعيد الجمهور كل مرة إلى مربع الثقة الأول.

من المهم الإشارة إلى أن التوقع العام لدى الجمهور بأن الجيش الإسرائيلي سيفوز؛ لا يعتمد بالضرورة على فهم قدرات الجيش، بل على الحاجة الأخلاقية إلى الإيمان بها من منطلق الحفاظ على الذات. لذلك، عندما ينخفض الشعور الحاد بالتهديد، فإن الحاجة إلى الإيمان بقدرة الجيش الإسرائيلي على الفوز تنخفض أيضاً.

أما فيما يخص الترتيبات القادمة للوضع الأمني في الشمال، فيشكل الجيش نقطة البداية والنهاية، وتنحصر المشهدية بسؤالين لا يملك المجتمع الشمالي جوابهما: ماذا سيفعل الجيش لإغلاق الدائرة واستعادة الأمن؟ هل سيسمح المستوى السياسي بتحقيق ذلك؟

ويبقى وجود الجيش في المنطقة الشمالية، العامل الأول لجلب الأمان للشمال، وضمان عودة المستوطنين المحتلين.

- **استجابة المجتمع الشمالي للتحديات:**

لا يمكن تقييم استجابة مجتمع ما للتحديات، وقياس مرونته من دون الاستناد إلى تفاعل 3 دوائر أساسية: الهوية والقدرة والتكوين الاجتماعي. تشكل هذه الدوائر مجتمعة أرضية الصمود، والقدرة على التعافي والنمو بعد الأزمات[1].

وعلى الرغم من أن المجتمع الشمالي متوارث للقيم، ويعتبر بيئة خصبة للهوية الصهيونية الاستيطانية، إلا أن فهم طبيعة المجتمع الشمالي يستند إلى مرتكزات مجتمعية عدة:

[1] "مدى جاهزية الجبهة المدنية للحرب" العميد (المتقاعد) الدكتور مئير إلران 2009

- مجتمعي ريفي، يميل إلى تحقيق الرفاهية النفسية، ويعطي أولوية "للجو الجليلي": الهدوء- الطبيعة- الروتين البطيئ كأسلوب حياة..
- يتكون المجتمع الشمالي من كيبوتسات[2] وموشافيم[3] ومستوطنات مجتمعية، كلما اتجهنا إلى الحدود شمالاً كلما قل عدد السكان في كل مستوطنة أو كيبوتس، لكن رغم التعداد القليل للسكان تحافظ هذه المجتمعات على روابط اجتماعية تجعل نسيجها أكثر تماسكاً.
- اندثار فكرة المستوطنات التقليدية (التي كانت تتكون من مجتمع مستقل ومنفصل عن المناطق الحضرية، يفصل فيها أطفال المستوطنة جميعاً في غرفة منامة موحدة، وتكون غرفة الطعام موحدة للجميع) وتحول المستوطنات الشمالية إلى مجتمعات ذات أجيال متعددة، خلق مزيجاً حيوياً ومتجدداً، تحول إلى سمة تتفرد بها تلك المجتمعات (جيل المحرقة والجيل الجديد).
- يربط الأفراد قيمتهم الفردية بالدور القومي "المقدس" في تشكيل السياج الحيوي للشمال، وعلى هذا الأساس يبنون توقعاتهم ويحجزون لأنفسهم أولوية قومية واجتماعية مقابل مخاطرتهم بأرواحهم "لتثبيت حدود البلاد".
- سكان الشمال أكثر ميلاً إلى اعتماد مسارات سلمية وتجنب التصادمات الحادة مع الدولة في التعبير عن مطالبهم أو استيائهم، وهم أكثر يأساً في مساعيهم نحو التغير، وأقل صبراً عندما تأتي مرحلة استدراك الإشكاليات العالقة.
- يعاني المجتمع الشمالي من حساسية بنيوية في التعامل مع أي تغيير أو أزمة، وصعوبة في التكيّف مع الأحداث أو التحولات، ليس لأنه غير مدرك لطبيعة المخاطر على الحدود الشمالية، بل لأن تقديراً لديهم يفترض وجوب تأمين الحماية له وإزالة أي تهديدات قبل نشوئها.
- تربط هذه المجتمعات علاقة ثقة مع القيادة المجتمعية ورؤساء السلطات المحلية، ويعتمدون على توجيهاتهم في تحديد الخيارات التي يجب اعتمادها.
- يميل المجتمع الشمالي إلى التمسك بـ"المظلومية" كموروث الثقافي، الذي ينسب قيمة أعلى وهوية اجتماعية ذاتية للضحايا.
- يرتبط سكان الشمال بالأرض ارتباطاً عاطفيا متوارثاً كمجتمع زراعي، أو أصحاب مهن متوارثة وعائلية، يجعل من التخلي عن الأرض انسلاخاً هوياتياً معقداً. مما يفسّر سبب ارتفاع دافعية المزارعين للعودة والمجازفة مقارنة بباقي فئات المجتمع، لكن نتيجة تبدّل الأولويات، وتفوق قيمة الأمان على القيم الأخرى، نالت هذه الفئة الصلبة نصيب من التآكل الذي لحق بالمجتمع.

[2] الكيبوتسات: مجتمعات زراعية ذاتية الإدارة تعتمد على الملكية الجماعية لأدوات الإنتاج وتنعدم فيها جميع أشكال الملكية الفردية ويجري فيها تقاسم عائدات الإنتاج بالتساوي بين أفراد المجتمع الزراعي الصغير.
[3] الموشافيم: القرى الزراعية.

كان من الممكن أن توظف الدولة عدة مرتكزات في عملية الاستجابة للتحديات، بل وخلق فرص عادة ما تفرزها الحروب إلى جانب ما قد ينشأ من تهديدات، لكن 3 عوامل رئيسية ساهمت في تعقيد العملية الانتقالية، أثبتت عدم جهوزية الجبهة الداخلية الشمالية:

1. حالة التهجير القسري غير المسبوقة، وتضخم صورة التهديد في عقلية الفرد؛ جعل من الحدث أمراً غير قابل للاحتواء، وأربك قدرة المجتمع على استيعاب الصدمة، وتداركها.
2. ضبابية الموقف والمصير وغياب التوضيحات والتفسيرات الرسمية حول مآلات الأمور، أحدثت شرخاً نفسياً وعجزاً معنوياً في فهم الواقع، وبالتالي تآكلت القدرة تدريجياً على المبادرة والتكيّف بعد سيطرة حالة من عدم اليقين العميق.
3. عدم القدرة على الخروج من حلقة الخذلان، رغم الرعاية الشاملة التي تكفلت بها الدولة إلى حد ما، إلا أن المسافة بين ملاءمة التوقعات (الأمنية والسياسية والعسكرية) وبين الواقع، حجب رؤية المشهد كاملاً وحال دون قراءة المخاطر كقضية وطنية شاملة تتطلب التضحيات.

لذا لم تختلف كثيراً مشهدية الاستجابة على اختلاف التحديات التي رافقت الحرب:

- **الحرب الطويلة:**

في بداية معركة الإسناد، كان عامل الخوف هو المتحكم الوحيد في عقلية السكان وسلوكهم، فشكل الابتعاد عن أماكن الخطر مهمة وجودية للبقاء، ومع الانتقال إلى الفنادق بشكل رئيسي وقع السكان ضحية الانسلاخ عن بيئة الجليل، وصعوبة التأقلم مع الأماكن المغلقة، واختلاق روتين مغاير في ظل عدم وجود جدول زمني واضح للأزمة.

في المرحلة الثانية، لم يجد النازحون خياراً سوى بالتأمل وانتظار الوعود لإحداث التغيير المرتقب، بما يضمن عودة آمنة إلى المنازل، هنا بزرت مظاهر من التكاتف والتضامن وتصدي الجمعيات المدنية والحركات التطوعية لسد الفجوات وتوفير الدعم النفسي، وعلى الرغم من أن هذه الجهود لم تتوقف حتى انتهاء الحرب، لكن القدرة على الاستجابة والصمود ومرونة الانتقال في المراحل الزمنية للحرب، أصيبت بنكسات متراكمة بعد كل خيبة تتعرض لها من الحكومة نتيجة التسويف في حسم معضلة الشمال، والممطالة في اتخاذ قرارات تضمن حق الحماية، ومع الوقت سيطرت حالة من اليأس على النازحين.

في المرحلة الثالثة، خرج الكثيرون من حلقة الانتظار، وذهبوا لإيجاد حلول بأنفسهم، كالانتقال إلى شقق سكنية، ثم جنح آخرون إلى اتخاذ قرارات فردية بعيداً عن مجتمعاتهم بحثاً عن الاستقرار في مجتمعات أخرى (تسجيل الأطفال في المدارس، التوظف في مهن ثابتة...).

في المرحلة التي تلت، تحولت ظاهرة المغادرة إلى خطر يهدد المجتمعات التي أتوا منها، وأصبح عدد المغادرين أكبر من عدد الأشخاص المقيمين.

ولأن الاتفاق لم يأتِ تلبية لكامل شروط العودة، لم تتخذ العائلات والأفراد قراراً بالعودة، ليس انتظاراً لإعلان رسمي وواضح بالعودة بل لدراسة الواقع المستجد وتقييم المخاطر بناء على المخاوف التي تمت مراكمتها خلال الحرب، بدءاً من الواقع الأمني وصولاً إلى خطة تأهيلية تنموية تتوافق مع مطالبهم المحقة على غرار ما ينعَم به مجتمع المركز.

- **الدمار:**

لم يتهيأ سكان الجليل لليوم الذي ستختلف فيه معالم جمال الجليل وستتحول فيه الطبيعة الخضراء إلى ألوان الصدأ والاحتراق، بالنسبة لهم فقد مُيزوا دوناً عن غيرهم من المجتمعات بأرض الجليل، أما الآن وقد اخترقت مفاهيم أشد الحاحاً كالأمن، أرغموا على الابتعاد قسراً وترك الجليل للنيران، مما ولد نقمة متعددة الأبعاد، لأنه حتى أمس كانت تلك التضاريس الجبلية نعمة بيئية، أصبحت اليوم ترى بعين المخاوف كثغرات أمنية لتسلل عناصر حزب الله، وتلك الأرض التي أسسها قدامى المحاربين لم تعد تشبه في روحها "آمال الوطن".

في الحقيقة إن مشهد الأرض المهجورة الخالية أشد وقعاً وإيلاماً على السكان، فإذا كان الدمار أمراً واقعاً، فلما تراكمت النفايات واجتاحت الاعشاب الطرقات، واستوطنت الفئران والكلاب المنازل، وتراكمت على الأرصفة الثلاجات والأرائك بعد أن أفرغها ملاّكها من محتوياتها بسبب انتهاء مدة الأجار، وامتلأت البيوت التي نال منها ضرر جزئي بالمياه والعفن؟.. بالنسبة لهؤلاء فقد أصيب الجليل في القلب وهو لا يستحق أن يترك إلى أن تمكن منه المرض.

في كريات شمونة، مشهدية يجب التوقف عندها، فأولئك الذين لم تتضرر بيوتهم، وجاؤوا لتفقدها، بعدما شقوا طريقهم بين أكوام النفايات، تعرضوا لصدمة بليغة أمام محتويات منزلهم التالفة والتي أخرجها أصحاب الشقق دون علمهم، الأمر أقرب إلى الوقوع في فراغ الانتماء، فقبل كل شيء "لم تكن المدينة مقامنا الدائم، ولم تحتوي ألامنا" وعند هذه النقطة يصبح الرحيل خياراً أقرب إلى الاستمرارية، فلو لم تدعم الدولة منح السكن والاستقرار لما اضطر أصحاب البيوت إلى مواجهة مثل هذا الموقف.

المستجد، استحضار مشهدية الدمار والخراب، للنبؤوات الدينية لأول مرة، تقول دانا فيرون من سكان الشمال: "سيُدمر الجليل وستصير الحدود خراباً ويرحل الأهل من مدينة إلى مدينة ولا يسلمون". في الواقع، تسبب الدمار بنفور بفعل الصدمة وعدم القدرة على تفسير النتائج، حتى رآه البعض تدميراً للحلم الصهيوني في الجليل، ومن تمسك بمقدار أعلى من الأمل، فكان شعوره متداخلاً بين الحسرة والرغبة بإحياء الجليل القديم. في هذا السياق يقول يوسي كاميسا، مزارع من نطوعا: "لا يوجد شيء يمكن رؤيته، ولا يوجد أحد يتجول هنا، المستوطنة مكتئبة بصريًا، نباتات على ارتفاع 4 أمتار، المستوطنة في حالة خراب، البنية التحتية مدمرة بسبب الجيش".
هذا ويعيش المزارعون واقعاً أشد مرارة، ما لم يتعرض للتلف والحرق، يبس ومات، جهد السنين وميراث العائلة يتوجب البدء به من الجد الأول، من الصفر، ويواجه هؤلاء معضلتين

رئيسيتين: الأولى تتعلق بالتعويضات، والثانية بدراسة جدوى الاستثمار الزراعي والعمل على خطة جديدة نظراً للجهد والتكاليف التي تتطلبها عملية إعادة التاهيل.

- **إعادة التأهيل:**

نَظَرَ المستوطن الشمالي إلى ملف إعادة التأهيل وإدارة أزمة النازحين والميزانيات، من منطلق عقدته "بالدونية"، لذا بنى موقفه بالاستناد إلى مقارنات وتحليلات لأداء الحكومة في التعامل تحديات الحرب في الجنوب رغم اختلاف الظروف والفرص والتحديات بين الجغرافيتين، وعلل سوء الأداء الرسمي، إلى أسباب تتعلق -من وجهة نظره- بأولوية سكان المركز والجنوب على حساب الشمال، وساعده على ذلك عوامل عدة:

- سرعة الاستجابة في تشكيل لجنة تكوما الإدارية والقيادة اليقظة في الجنوب (مستوطنات الغلاف)، مقارنة بالشمال الذي لم يتمكن من تشكيل لجنة متكاملة حتى بعد وقف إطلاق النار، مما حرم النازحين من مرجعية رسمية لمتابعة أوضاعهم والاستماع إلى مطالبهم، أو حتى للإجابة على تساؤلاتهم، مما خلق فجوة ثقة مع المستوى الرسمي، وأسس لخطوة انفصالية عن الحكومة نتج عنه قرارات فردية بعيدة عن مفهوم الجماعة والمصلحة العليا للدولة.
- انتقال النازحين إلى مجتمعات المركز، كان بمثابة صدمة ستكون لها تبعات مستقبلية خطيرة على المجتمع الشمالي، إذ دخل النازحون في عملية مقارنة حادة بين الخدمات المدنية المتوفرة في المركز، من التعليم للطبابة للبنى التحتية والمواصلات، فانقسموا إلى قسمين: القسم الأول، اشترط إحياء تنموي شامل للجيل أما الوعود بعملية تأهيل لن تكون كافية للتضحية والعودة، أما القسم الثاني: فقد حسم قراره بالانتقال آيساً من أي تغير سيحدث في الجليل. يمكن تفسير حدّية الموقف بالنظر تاريخياً إلى المسار الطويل من المناشدات والتوسلات التي تقدم بها سكان الجليل على مدى الحكومات المتعاقبة لتنمية الجليل والتي لم يخرجوا منها إلا بالمزيد من الوعود، لذا لم يكن النازح من خط الصراع مستعداً لتقبل واقع يُحرم مما يتمتع به غيره من المجتمعات الأقل تضحية وبذلاً.
- غياب الشفافية الرسمية، بما يخص الخطط والميزانيات، وتبدل المواقف وتعارضها مع الواقع، أجبر سكان الشمال على استبدال المرونة، بتصلّب متعمد لانتزاع الحقوق، وتدفيع الحكومة ثمن التخلي عن الشمال، ومواجهة تداعياته الاستراتيجية.

لا بد من الإشارة هنا، أن الحكومة كما المجتمع الشمالي يدركون ضمنياً أن توفير المقومات المدنية والاجتماعية والاقتصادية وتدفق المنح والمساعدات وإن كان ليس بالمستوى العالي للمطالب والتوقعات سيعيد الكثير إلى منازلهم، لكن الرهان على إقفال الملفات بالنهج المعتاد سيكون حتماً رهاناً خاسراً، إذ انتجت الحرب مساحات فكرية لم تكن قبل 7 أكتوبر، أشد حساسية، وأكثر حديّة، وأقل تفهماً، يعود ذلك إلى ثغرات نفسية نشأت خلال الحرب حول القيمة الذاتية للفرد في الشمال مقارنة مع باقي المجتمعات، لم

تتداركها الحكومة ولم تفلح بالتعامل معها إما لأسباب تتعلق بخطاب الحرب والوعود، أو في تصدير خاطئ لصورة الصراع وطبيعة التحديات القائمة.

- **الخريطة النفسية للمجتمع لا تصل شمالاً:**

تُشكل معضلة العودة الاختبار المركزي للمضاعفات النفسية للحرب على السكان ومنه يمكن تفسير أسباب تعقيدات العودة وتأزّم الحل:

- **الحاجز النفسي:**

1. الخوف:

في سيرته الذاتية "التمرد" كتب مناحيم بيغن "إن جوهر الحرية هو التحرر من الخوف، الخوف هو حاكم رهيب لأنه مخفي"، الخوف هو السبب الرئيسي الذي دفع بسكان المستوطنات الحدودية إلى حزم حقائبهم للرحيل حتى قبل أن يصدر قرار الإخلاء الرسمي، وهو السبب الذي حال دون استيعاب الصدمة وتجاوز تحديات الحرب بأقل مقاربة عاطفية ممكنة. الخوف كذلك من وقف عائقاً أمام توظيف الانجازات العسكرية وارتفاع سقف التوقعات من دون مقاربة واقعية للقدرات.

الخوف هنا يجسد العدو الفعلي للمجتمع الشمالي، وتحديداً سكان مستوطنات خط الصراع، حتى ولو كانت الاستجابة الحكومية مثالية وساهمت في تخفيف حدة المخاوف، إلا أن هناك حقيقة مجردة تقول أنه لا يمكن تحقيق واقع خال من أي تهديد مهما بلغت الانجازات أو القدرات العسكرية والتكنولوجية، لا يمكن تغيير هوية الأرض اللبنانية ولا يمكن تغيير واقع يتواجد فيه عدوين على الحدود يسعى كل منهما لإزالة الآخر.

لذلك لم يتمكن المستوطن الشمالي من التحرر يوماً من الميراث اليهودي، يراه حتى عند نشوء فكرة خيالية في رأسه، تلاحقه "عقدة الزوال"، وحسب أمير بن دافيد الكاتب في صحيفة "زمان إسرائيل": "نجح نصر الله في زراعة الخوف من خلال خطاباته وتهديداته". ولأن صورة الخوف هي بالنسبة لمستوطن الشمالي "عامل البقاء"، تتراجع القيم الوطنية، كالهوية الصهيونية الاستيطانية، وقيم التمسك والصمود، أمام أولوية الاستمرارية والبقاء.

فتحولت المخاطرة بالعودة للسكن في الجليل إلى:

- فعل غير مسؤول يعرض الأطفال لخطر القتل.
- من سيعود لن يكون إلا متخلف حقيقي.

2. القلق:

الأسئلة التي بقيت بلا أجوبة، والاطمئنانات التي لم تتحول إلى أفعال مقنعة، ضبابية الرؤى في فهم الواقع، كل هذا أدى إلى اختزان قلق عميق، ظهر بتعبير المستوطنين على أنه شعور بـ"عدم اليقين".

على الرغم من التغيرات الميدانية، والانجازات النوعية للجيش على الجبهة الشمالية، أصبح القلق ملازماً لوعي وعقلية المستوطن الشمالي، لأنه أصبح جزءاً من هويته، "كمواطن" شمالي، لا يثق بالدولة ولا بقدرتها على حمايته أو التعامل بمسؤولية مع المحن التي يواجهها المجتمع الشمالي.

أول ما فعله القلق، كان تجميد ديناميكية الانتقال من الاستقرار إلى المواجهة، وإرباك قدرة الفرد على أخذ المبادرة والقرارات، لذا يميل الفرد حالياً إلى عدم حسم الأمور، ويظهر ذلك في قرار العودة، أو مغادرة الفنادق، والاكتفاء بالمراقبة وانتظار متغير قد يتمكن من ضبط منسوب القلق لديه كإنشاء منطقة عازلة، واستمرار عملية تقويض قدرات حزب الله حتى إنهائها. بالتالي تغيرت حتى الأنماط الفكرية لدى هؤلاء، وتحولت الظواهر النفسية لما بعد الصدمة، إلى متلازمة تشكل هويته الفكرية والثقافية.

3. العجز:

يؤمن المجتمع الشمالي بقدراته، والتبعات الأمنية لخيار السكن شمالاً، لكنه لا يمكن أن يتفهّم أي خلل في استجابة الدولة للتهديدات التي تطاله، قد يصبر وينتظر ويأخذ نفساً طويلاً قبل اليأس من الوعود، إلا أن تراكم الخيبات، تمكّنت من المسّ جوهرياً بقيمته الذاتية كمواطن وأضعف نظرته الفردية لهويته الصهيونية "المقدسة"، لأنه وحسب المستوطن الشمالي المشبع بالأفكار الصهيونية، إن تورط الدولة في إضعاف روحه الصهيونية (الصمود-البقاء-الاستيطان) سيكون له تبعات على هويته الصهيونيه.

فهؤلاء لم يعارضوا الإخلاء بحدّ ذاته بقدر رفض طريقة تعامل الدولة مع ملف الشمال، والنازحين منه، لكن حقيقة وصول السكان مرحلة العجز مردّه إلى أسباب عدة:

- الفجوة بين المجتمع الجنوب والمركز، عمّق الإحساس بالدونية كقيمة وطنية، بالتالي إن أي محاولات ومساعي تغيرية في الجليل لن تلقى الصدى نفسه كما لو كانت في المركز أو الجنوب، لأنه ببساطة يختلف المعيار الوطني بين المجتمعات على حساب المجتمع الشمالي.
- سمحت الحرب بتجربة اختبار: كيف تكون مواطناً نخبوياً؟ والتحرر من ضرورة الشكوى والوقوف على أعتاب المسؤولين، واقناعهم بجدوى التنمية والاستيطان في الشمال، أطفأت هذه التجربة الإلحاح للتغير، وذهب البعض نحو خيارات أسهل كالاستقرار في المركز من دون الحاجة إلى خوض معارك عقيمة مع الدولة.
- الحاجة المستمرة إلى إثبات أهمية انقاذ الشمال والشمالين تبعاً لرؤيتهم، وبالطريقة التي يجدونها فعّالة وناجحة، أوقعت المجتمع الشمالي بحالة من الإرهاق، وتراجعت الدافعية للدفاع عن المنزل.
- ثبُت لدى سكان الشمال أن هناك قصوراً لدى الحكومة في فهم الشمال وواقعه، وأن الأخطاء ستُعيد نفسها، إن لم يكن الآن فحتماً في السنين القادمة.

- تضارب الوعود السياسية مع التصريح الأخير لقائد القيادة الشمالية أوري غوردن في لقاء مع سكان الجليل[4]، أكد فيه أنه خلافاً لوعود القيادة السياسية، لن يكون من الممكن منع عودة اللبنانيين إلى القرى القريبة الحدود، كما لن يكون بالإمكان منع عناصر حزب الله من العودة إلى قرى جنوب لبنان وبناء المنازل التي دمرت، وبصرف النظر عن شكوكه بصمود الاتفاق وانتقاده أداء الجيش اللبناني الذي لا يحقق أهدافه ويتعاون مع حزب الله، وتشديده على مبدأ حرية العمل العسكري، إلا أنه حاول في حديثه انتزاع فكرة البقاء في لبنان كونها أراض لبنانية ذات سيادة وأي فعل في هذا الاتجاه سيلقى اعتراضاً دولياً تبعاً للقوانين. هذا التحديث المستمر والمتضارب للوعود مرة بين المستوى السياسي ومرة بين المستوى العسكري، يعمّق فجوة الثقة، إلى مرحلة يضطر فيها السكان إما الخضوع للأمر الواقع افتقاراً للخيارات، وإما الخروج من دائرة العجز وانعدام الثقة بعيداً عن الشمال.

طالما أن الشعور بالعجز يحكم عقلية المستوطن الشمالي، فإن عملية النمو والتعافي ستأخذ وقتاً أطول، وربما تتجذر أكثر في الثقافة المجتمعية إذا لم تفلح الدولة في تفكيكه.

- **إذاً، من سيعود؟**

من الصعب حسم عدد الذين سيعودون إلى الشمال وأولئك الذين أخذوا قراراً بعدم العودة، لأن النسبة تتغير بتغير الأوضاع الأمنية والاقتصادية في الشمال.

بحسب آخر الإحصاءات[5]:

- لا يزال 13580 شخصًا تم إجلاؤهم يقيمون في الفنادق وأماكن الإقامة الأخرى التي تمولها الدولة.
- استقر 50355 داخل المجتمعات، ويحصلون على بدل معيشة.

ليكون مجموع النازحين الذين لم يعودوا 63935 إلى الشمال.

تدّل هذه الأرقام على إحجام واضح عن العودة وبالأخص إلى مستوطنات خط الصراع المخلاة بشكل رسمي (43 مستوطنة)، نتيجة 3 عوامل مباشرة:

1. في البداية لم يكن هناك قرار رسمي بموعد العودة وتضاربت المواعيد، إلى حين إعلان وزير المالية سموتريتش 1 آذار/مارس موعداً للعودة.
2. انتظار القيادة العسكرية حتى تحقيق شروط العودة كاملاً: كإنشاء منطقة عازلة.
3. عدم ثقة السكان بالاتفاق.

مثلاً في كريات شمونة: لم يعد حوالي 24000 ألفاً من سكانها الـ25 ألف- 50% من الشباب لن يعودوا إذا لم يتم تقديم خطة حوافز واضحة وفورية. ومن المهم الإشارة إلى أن

[4] القناة 12 7-1-2025
[5] إسرائيل اليوم 29-12-2024

تأخير موعد العودة، يعني أن السكان لن يعودوا قبل انتهاء العام الدراسي، حتى لو تم تثبيت موعد العودة الرسمي للسكان.

- **ما الذي قد يُنقذ الشمال؟**

إذاً، ما الواقع الذي يجب توفيره لضمان عودة السكان؟ الإجابة لا تختلف هنا عن الشروط التي أعلنها المستوطنون[6] قبل وقف الحرب في لبنان، ويمكن حصرها بـ:

1. خطة تنموية شاملة (تقديم الأولوية لمجالي الزراعة والصناعة).
2. تجديد العقد الإجتماعي والاقتصادي بين الدولة والسكان (هدم وإعادة بناء أحياء بأكملها، مما سيمكن من القضاء على عناصر الفقر والضعف الاجتماعي- بناء طبقة جديدة عالية الجودة ومحمية على هذه الطبقة - ضد الصواريخ والزلازل على حد سواء - مع التنمية الحضرية الحديثة وفرص العمل والترفيه).
3. الحاجة إلى منطقة عازلة في جنوب لبنان حتى يتمكن السكان من العودة بأمان.
4. إنشاء نقاط استراتيجية في الأراضي اللبنانية للدفاع عن المستوطنات الشمالية.
5. خطة طويلة المدى تجمع بين الأمن والنمو الاقتصادي والبيئي.
6. شن عملية هجومية غير متكافئة في حال تم اختراق الاتفاق.
7. وضع خطط دفاعية محلية منتظمة لحماية جميع المنازل والمؤسسات في الشمال.
8. سد كل الثغرات الأمنية وبناء أرضية حماية جديدة من الملاجئ المتطورة.
9. خطة لإعادة تأهيل وتطوير البنى التحتية والمواصلات، وزيادة حجم الحوافز للسكان.
10. مبادرات لإنشاء مراكز وأطر توظيف للشباب، وزيادة حجم الاستثمارات.
11. خطة ديمغرافية لإعادة استيطان الجليل (إعطاء الأولوية للعائلات الشابة).
12. خطة تطوير المجال التعليمي ورياض الأطفال.
13. ترميم معنوي ودعم نفسي ضمن خطة شاملة لإحياء الثقة مع الدولة.
14. دعم وتطوير القطاع الصحي، وإعادة ضخ الميزانيات لتشغيل مراكز الصمود في الشمال.
15. تحفيز العاملين الزراعيين وتقديم المنح للعمال الجدد لمزاولة الزراعة في مناطق خط النزاع.
16. إنشاء لجنة متابعة ميدانية لخطة التنمية في الشمال.
17. استعادة الفخر المحلي للسكان والشعور بالسيطرة على حياتهم وقدرة المجتمع على الصمود.
18. تعزيز دور القادة المحليين، وإنشاء أطر تتيح الحوار والتعاون بين السكان والسلطات والمنظمات المدنية الشمالية.

[6] يديعوت أحرنوت

19. عدم تأجيل التعويضات، ومنح مساعدات مالية فورية للمتضررين.

**ويظهر من خلال استقراء آراء المستوطنين أنه حتى في حال تحققت المطالب كاملة، سيبقى الخوف يلاحق السكان، فكرة أن حزب الله سيستعيد قوته، يبقى هاجساً ملازماً للشمال.**

- **التداعيات المستقبلية**

مرّ المجتمع الشمالي بتحولات بنيوية شاملة خلال الحرب، سيكون لها تداعيات بعيدة المدى تمثل تحديات استراتيجية جدّية في حال لم تحدث انقلابات تغيير جوهرية في كافة المجالات:

- التغير الحاد والدراماتيكي في أولويات الفرد والمجتمع، حيث تسود الاحتياجات الأساسية للبقاء على القيم المجتمعية والوطنية.
- نقص العنصر الشاب في المستوطنات، والتبدل في هيكلية المجتمعات، وغلبة الروح العجوزة من قدامى المحاربين والجيل الثاني، سيخلق إشكالية اجتماعية في عملية تجديد المجتمعات وتوسعتها وخسارة قوة اقتصادية كبيرة في عملية التنمية، وتهديد الواقع الديمغرافي للاستيطان في الشمال.
- تحول تدريجي في هوية الشمال، من خط دفاع استراتيجي عن العمق، ومعقل للروح الصهيونية الاستيطانية إلى مساحة استجمام، ووجهة ترفيهية مؤقتة للعائلات.
- تآكل في مركز الثقل الزراعي والاقتصادي في الشمال وانتقاله إلى مناطق أكثر أمناً.
- تحول الشمال إلى عبئ اقتصادي على ميزانية الدولة، على خلفية المنح والميزانيات الضخمة التي وعد بها السكان أنفسهم، وعبئ إضافي على الجيش، لضرورة تواجده شمالاً، ضمن خطة دفاع يقظة.
- تحولات سياسية عميقة، ستنحرف فيها التوجهات بعيداً عن نتنياهو وائتلافه.
- ظهور مسارات تفكك وانفصال أسري، ظهرت باكراً خلال الحرب، والناتجة عن قناعات وتوجهات مختلفة داخل الأسرة الواحدة بين الأهل والأبناء وحتى بين الوالدين، مما سيخلق تحدياً خطراً في المحافظة على النسيج الاجتماعي.
- تآكل في روح الصهيونية التقليدية المتوارثة للمستوطنات المجتمعية والكيبوتسات الزراعية، مما سيتسبب في انقطاع القيم الصهيونية المتوارثة في فجوة الأجيال، واندثار أحد أهم عوامل البقاء والاستيطان في الجليل الأعلى.
- كشف خط الحدود، أمام حزب الله، وخلق ثغرات أمنية جغرافية، ومساحات فارغة، تشكل خواصر أمنية رخوة، في حال عدم موافقة السكان العودة إلى الحدود المتاخمة للبنان.
- ستحدث انحرافات حقيقية في الرؤية الصهيونية، عند أولئك الذين يعتبرون الاستيطان في الجليل فعل وقيمة صهيونية تميزه عن الأغيار (غير اليهودي).

بكل الأحوال، ينتظر الدولة ومؤسساتها استحقاق جدّي، لتحويل الشمال إلى واقع لا يختلف عن المركز، إذ لن يقبل السكان بعد الآن ما دون ذلك، حتى لو كان الثمن خسارة الشمال، شرط أن لا يكون الثمن على حساب أرواحهم وحقوقهم.

**"إن الإنسان لا يصرخ من أجل ما لا يفتقر إليه، الآن سكان الشمال باتوا يعرفون بالفعل كيف يصرخون من أجل ما يفتقرون إليه"** – يائير كرواس، مراسل صحيفة يديعوت أحرنوت في الجليل.

- **تأثير الشمال على قرارات الحرب**

يطلق على الجبهة الداخلية في الكيان مصطلح "مؤخرة الرقبة"، لأن أي ضربة قد تتعرض لها "مؤخرة الرقبة" ستكون حتماً قاتلة، وبالنسبة لعقيدة الأمن القومي، إن أي إصابة بليغة لـ"مؤخرة الرقبة" ستطغى على أي إنجاز عسكري في "أراضي العدو"، وسيؤثر على سير الحرب ووزن نتائجها.

تحولت الجبهة الداخلية الإسرائيلية، بعد حرب لبنان الثانية، إلى جبهة مركزية، وتطورت مفاهيم الجبهة الداخلية إلى تمكين المجتمع من الصمود من خلال تعزيز مرونته ليكون شريكاً في إدارة الحرب، وإدخال مفهوم "إدراك التأثير" على المناهج التدريبية للجيش الإسرائيلي، بحيث تصبح عملية تحييد الضرر عن الجبهة الداخلية أولوية في الحروب افساحاً بالمجال أمام صناع القرار للتحرك في مساحة أكبر للعمل على تحقيق الأهداف من دون القيود التي تفرضها ضغوط الجبهة الداخلية.

الجبهة الداخلية إما تسمح بقيادة سليمة للحرب، أو تضرّ في عملية صنع القرارات العسكرية والسياسية، ما يؤثر على جودة اتخاذ القرار على المستوى الوطني، والوقوع في ضغط زمني لتحقيق الأهداف بسبب عدم قدرة الجبهة الداخلية على الصمود.

إذاً كيف أثرّت الجبهة الداخلية على القرارات السياسية في الحرب الأخيرة؟

- **قرار الإخلاء الفوري والسريع:**

حسب القواعد العامة التي تم تثبيتها في قيادة الجبهة الداخلية، فإن عملية الإخلاء تتم في حالة الهجوم البري الواسع، وفي حالة انهيار أنظمة الدفاع والاحتواء في مواجهة الهجمات الصاروخية المتكررة على المستوطنة، أي في حال تحول المستوطنة إلى خطر وجودي على سكانها، مع الأخذ بمعايير التوقيت وتقييم المخاطر والخيارات، لما للإخلاء من أثر استراتيجي على الدولة.

لكن الذي حدث كان قراراً غير مسبوقاً وسريعاً بإخلاء 43 مستوطنة على خط الصراع، وهو عدد ضخم مقارنة بمبادئ ومعايير الإخلاء، نتيجة تخوف قاهر لدى القيادة من عدم

القدرة على احتواء حالة الهلع التي أصابت السكان، وسقوط الجبهة الداخلية في اختبار المرونة والاستجابة للمخاطر.

- **قرار الحرب:**

المناشدة الملحة للجبهة الداخلية بالتخلي عن المعركة الدفاعية، واتخاذ قرار جدّي بشن حملة عسكرية هجومية، مع تأييد شعبي شامل بالحرب، أعطى الشرعية الكاملة لاتخاذ قرار بحرب موسعة على حزب الله.

- **أهداف الحرب:**

تجنب الحكومة الصهيونية، وضع أهداف ذات سقف مرتفع للحرب، كان يهدف إلى ضبط توقعات الجمهور، وتحديد نتائج تلائم الواقع لا الطموحات، بما يضمن احتواء الجمهور وردة فعله فيما ستؤول إليه الحرب، وذلك بالاستفادة من دروس اخفاقات حرب تموز 2006. وذلك يؤكده قول العميد (الاحتياط) عيران أورتال: "إعلان الجيش الإسرائيلي حول الأهداف المحدودة للعملية كانت موجهة إلى آذان الجمهور الإسرائيلي".

- **المناورة البرية:**

ضغط شروط الجبهة الداخلية، بإقامة منطقة عازلة كشرط أساسي للعودة، وإزالة البنية العسكرية الهجومية لاقتحام الجليل، ألزم القيادة بتكرار المراهنات الخاسرة والخسائر البشرية الكبيرة للمناورة البرية على عدة جبهات ومراحل وتغيير التكتيكات، مقابل تنفيذ وعود الحرب وترجمة الشروط إلى واقع ميداني.

- **اختراق بنود القرار:**

في الخطاب الذي أعلن فيه نتنياهو عن وقف إطلاق النار، كان حريصاً على تبرير القرار للجمهور (لإراحة القوات وإعادة التذخير والتصدي للتهديد الإيراني)، كما صدّر واقعاً مناقضاً لبنود الاتفاق: الجيش يملك حرية العمل العسكري، هدنة مؤقتة وليس تسوية.. لاحتواء استياء الجبهة الداخلية في الشمال ورفضها للقرار.

وهو ما يفسرّ، طبيعة عمل القوات خلال الهدنة، وتعمدها للاختراقات، لبث رسائل تطمينية للجمهور، وتثبيت مصداقية كلام نتنياهو، بأن الجيش لا يزال يملك حرية العمل العسكري، ولا زال العمل مستمراً على تحقيق الأهداف، بتدمير القدرات العسكرية لحزب الله، وأنه يملك اليد الطويلة للتوغل حيثما أراد.

- **استنتاجات عامة:**

- تستثمر الدولة في الجبهة الداخلية اقتصادياً واجتماعياً وأمنياً لتحقيق الأمن القومي، وضمان الانتصارات في الحروب، لكن الحرب أثبتت ضعفاً في المرونة والصمود الاجتماعي نتيجة فقدان عناصر الجهوزية.
- تستغل القيادة الثغرات النفسية عند الجمهور لتنفيذ الخطط السياسية والعسكرية في الحروب، إلا أنه في كل مرة يراهن القادة على هذه المعادلة، تعود الجبهة الداخلية لتقف عائقاً أمام توظيف الانجازات والقدرة على استثمارها.
- تتحكم الجبهة الداخلية في تصدير نتائج الحرب، بناء على المعايير التي راكمتها خلال الحرب.
- للجبهة الداخلية قدرة على تقييد القرارات العسكرية خلال الحروب، أو إحداث انحرافات جزئية أو كليّة في الخطط حسب طبيعة الحرب والتهديدات.
- للجبهة الداخلية قدرة على منح النصر بالمعنى السياسي أو انتزاعه مهما كان واضحاً في الرؤى العسكرية.
- يظهر ضعف واضح في لغة التواصل والخطاب بين القيادة والجمهور، وخلل في استثمار القدرات وتنميتها.